

بلاغة الخطاب التداولي

في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)
دراسة تداولية



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٤٢١٨ لسنة ٢٠١٧

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (١٦)
وحدة الدراسات اللغوية

بلاغة الخطاب التداولي

في عهد الامام (عليه السلام) علي مالك الاشتر (رضي الله عنه)

دراسة تداولية

تأليف

م. د. عبد الهادي كاظم كريم

إصدار
مؤسسة علوم البحار
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى
والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ
آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق
أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة
النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني
والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وإن خير ما يرجع إليه في المصاديق لحديث
الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية
النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحية

النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته الله) إلا أنموذجٌ واحدٌ من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية التي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمته الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان

وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية والموسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه))، التي يتم إصدارها بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية التي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة المفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

وكان البحث الموسوم بـ(بلاغة الخطاب التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)) دراسة تداولية) تحت عنوان الدراسات اللسانية التي تكشف عن طاقة اللغة التعبيرية ولباقتها في حمل المقاصد الكافية في

طيات تراكييها وبما يمتلكه المنهج التداولي من
سعة تدخل كل اطراف الحوار والسياق ليقف
على مقاصد المتلم ومدى تأثير كلامه في مخاطبيه
وكل ذلك يصب في بلاغة المتكلم وقدرته البيانية
في الكشف عن دقائق أفكاره وبيثها لمتلقيه.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل
جهده وعلى الله أجره والحمد لله رب العالمين

السيد نبيل الحسني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ
على خيرِ رُسُلِهِ وخَلْقِهِ أجمعين أبي القاسم محمد
المبعوثِ رحمةً للعالمين وعلى آلِهِ الأئمةِ الطيبينَ
الطاهرينَ المعصومينَ، وأصحابه الغرِّ الميامينَ
الذينَ لم ينقلبوا على أعقابهم بعد حين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أهلَ بيتِ رسولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هم معدنُ
العلمِ والفهمِ والمعرفةِ المتنوعةِ والعلومِ المشرعةِ
على مشاربِ شتَّى وميادينَ واسعة لا تقفُ عند
حدٍّ مخصوص بل تكادُ أن تشملَ كلَّ علمٍ وفنٍ؛
لذا ينهلُ منها كلُّ طالبٍ للعلمِ والفهمِ والحقيقةِ،
ولا غرابةَ في ذلك؛ فهمُ أهلٌ لذلك، ورثوا
العلمَ عن آبائهم عن أجدادهم عن رسولِ

الله (ﷻ) عن الله سبحانه وتعالى. والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أصل هذه الأرومة العظيمة، وأساس سلسلتها الذهبية المعهودة عند المسلمين جميعاً وعند غيرهم أيضاً.

وجاء هذا الجهد لبحث في جانب واحد وفي علم واحد من العلوم، بل في باب من أبواب فروعها المتعددة التي أثمرت عن الإمام علي (عليه السلام)، وهو كلامه المقدس الذي وصل إلينا عبر الرواة والمصادر التاريخية والأدبية؛ ليستجلي بعضاً من الدلالات البلاغية الراقية التي انطوى عليها خطابُه، والمعاني الجميلة السامية التي أفادها في أثوابها اللفظية الزاهية البهية التي تشع نوراً وإيماناً وعقيدة راسخة وخلقاً رفيعاً وأدباً عظيماً؛ فحمل عنوان (بلاغتة الخطاب التداولي في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) إلى واليه على مصر مالك بن الأشتر (رضي الله عنه)، فكشف البحث

عن مظاهر خطايبة بلاغية كثيرة جديرة بالاهتمام والتتبع والبحث على المستوى اللفظي والمستوى الدلالي ضمن آفاق اللغة الرحبة وأساليبيها البلاغية المتنوعة التي شكّلت نسقاً يجاري أسلوب القرآن الكريم الفريد والمعجز الذي يسع ما لا يسعه أي أسلوب آخر غيره، وكذلك كشف لنا بعضاً من ملامح سعة علمه وطول باعه (قدس سره) في هذا النحو من العلم وأصوله العلمية التي يرجع إليها وهي اللغة والنحو والدلالة والبلاغة على وفق أساليب العرب في كلامهم وطرق القول عندهم وأفانين البلاغة في منطقتهم. وقصرناه على نماذج مخصوصة منها؛ لأنّ المجال لا يتسع لبحثها جميعاً؛ وكفي يكون البحث منسجماً مع الشروط التي وضعت له سابقاً.

وخطة البحث ومنهجها قاما على مبحثين، الأول: ذكرنا فيه تعريفات ومفاهيم نظرية

لمصطلحات البحث الأساسية كالخطاب والتداولية؛ كي تعلق مفاهيمها في ذهن القارئ حين يطلع على البحث أو يروم قراءته. والمبحث الثاني: قراءة هذا العهد العظيم وبيان ما ورد فيه من مظاهر تداولية في خطابهِ على حسب ورودها فيها وكثرتها، فيجري البحثُ على وفق النماذج المختارة منه، فيتناولها بالدراسة والبيان والشرح والدلالة، ثمَّ الانتقال إلى مثال آخر منها، وهكذا في كلِّ واحد منها إلى إتمام البحث ونهايته بعون الله تبارك وتعالى. وكانت روافدُ البحثِ كتبَ اللسانيات، وكتب البلاغة العريية، وكتب الأدب العربي، وكتب الدراسات اللغوية القديمة والحديثة والدراسات الأكاديمية والبحوث التي تناوش هذا العلم بالبحثِ والدراسة.

وأظهر البحث أن أسلوبه وبلاغته (عليه السلام) كانا منسجمين مع ما يقتضيه الخطاب على وفق

السياق التداولي، وغيرَ خارجين عن أساليب اللغة الفصحى، وطرقِ العربِ في كلامهم للتعبيرِ عن المعاني التي يقصدونها، بل لهما وجهٌ يمثلُ أنموذجًا في الحسن، وينطويان على جوانبَ بيانيّةٍ وبلاغيّةٍ تمثُلُ إنموذجًا رفيعًا في الفصاحة والبلاغةً وكذلك في التفسير والمعنى، لا يقربُ منه أيُّ نصٍّ لغويٍّ أدبيٍّ آخر سوى كلام البارئ سبحانه وتعالى في محكم كتابه المعجز الذي فاقه وغيره. وأوضح البحثُ كذلك أن أقواله (عليه السلام) في العهد تشكّل ظاهرةً لغويّةً فريدةً في الخطاب تعانقُ نصوص القرآن الكريم المعجزة في اللغة والخطاب والأسلوب والبلاغة وكذلك كلامه وخطبه ورسائله وكتبه التي تضمّنها سفره العظيم نهج البلاغة، ولا عجب في ذلك مطلقًا فهو من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين زوّوا العلمَ والفضلَ زقًا. وفي

الختام لا يسعني إلا أن أقول من الله تعالى التوفيق،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
الخطاب تعريف ومفهوم

الخطاب في اللغة:

الخِطَابُ بكسر الخاء وتخفيف الطاء هو مراجعة الكلام، وفعله (خَطَبَ) ومصدره خُطْبَةٌ من الكلام، وخِطْبَةٌ لطلب المرأة^(١)، ويكون مصدرًا للفعل (خاطَبَ) أي: خاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ مخاطبةً وخِطَابًا^(٢). والخِطْبُ «الأمرُ يقع؛ وإنما سُمِّيَ بذلك لما يقعُ فيه من التخاطب

(١) يُنظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، ٣٩٥٢هـ: مادة (خَطَبَ). والمحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: (خطب).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: (خطب).

والمراجعة»^(١)، وَخَاطَبَهُ أَحْسَنَ الْخِطَابِ: وَاجَهَهُ
بِالْكَلَامِ^(٢)، وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ مَخَاطَبَةً وَخِطَابًا
وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ أَي وَجَّهَ أَحَدُهُمَا كَلَامًا لِلْآخَرِ^(٣).
ففي المعنى اللغوي يتجلى لنا أنَّ الْخِطَابَ يَتَطَلَّبُ
مُخَاطَبًا وَمُخَاطَبًا وَكَلَامًا يُؤَلَّفُ مَادَّةَ الْخِطَابِ
وَمَحْتَوَاهُ وَدَلَالَتَهُ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ مَا اصْطَلَحَ
عَلَيْهِ (أركان الخِطَابِ) كما سيتبين لنا في مفهوم

(١) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس،
تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدر الإسلامية، ١٩٩٠م:
مادة (خَطَبَ).

(٢) ينظر: أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت
٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصريَّة،
١٩٥٣م: مادة (خَطَبَ).

(٣) ينظر: لسان العرب أبو ابن منظور (ت ٧١١هـ) تحقيق:
أمين محمد عبد الوهَّاب ومحمد الصادق العبيدي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م:
مادة (خَطَبَ)، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، دار
الدعوة، تركيا الطبعة الثانية، ١٩٨٩م: مادة (خَطَبَ).

الخطاب ودلالته الاصطلاحيين.

الخطاب في الاصطلاح:

يَتَّصِلُ مفهوم الخطاب الاصطلاحِيّ بفهمومه اللغويّ، فقد عُرِّفَ بأنّه: (توجيهُ الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نُقِلَ إلى الكلام المُوَجَّه نحو الغير للإفهام وقد يُعَبَّرُ عنه بما يقع به التخاطب)^(١) وقد رَبَطَ علماء اللغة القدماء بين هذا المفهوم وبين تعبير القرآن الكريم (فصل الخطاب) الذي وصف به النبي داود (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾^(٢) على الرغم من

(١) كَشَّاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م: ٥/٢.
(٢) سورة ص: ٢٠.

دلالاته المتنوعة عند المفسرين^(١)، إذ وردَ عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) رأيَه الذي نقله عن عمرو بن عبيد (ت ٢٢٤هـ) في بيان المقصود من (فصل الخطاب)، فقال: "إِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَ تَقْدِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ٢٠ / ٤٩ - ٥٢. والكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ٨ / ١٨٤ - ١٨٥. وتفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التيمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ٤ / ٤٣٠ / ٣٤١.

في عقول المكلفين المرئدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الأذهان رغبةً في سرعة استجابتهم نفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كُنْتَ قد أُوتِيتَ فَصَلَ الخِطَابِ"^(١)، ولا يخفى أن الجاحظ هنا فسر (فصل الخِطَابِ) بنوع من "القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإثقال على السامع"^(٢)، وقد توسَّع الزمخشري في بيان المقصود بـ(فصل الخطاب) فجعل دلالة تتكىء على البلاغة في إيصال المعنى مع مراعاة حال المخاطبين، فقال: "فمعنى فصل الخطاب: البين

(١) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م: ١/١٤١.

(٢) بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية: محمد عابد الجابري، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠م: ٣٠.

من الكلام المملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مظانّ الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إلا موصولاً بما بعده، ولا وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ حَتَّى يصله بقوله لا تَعْلَمُونَ ونحو ذلك، وكذلك مظانّ العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل، كالصوم والزور، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والصواب والخطأ^(١) ودلالة

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزنخشري جاز الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ: ٤ / ٨٠.

الخطاب هذه يقترَب بها الزمخشريّ من دلالتِه عند المحدثين فالخطاب على وفق هذا المفهوم كل كلام واضح يتجنبُ الغموض والإبهام^(١).

وتكلم ابنُ فارس عن أحوال الخطاب بين المتكلم والسامع أو المخاطب أو المتلقّي فذكر أنّ من البيان معرفة تلك الأحوال لأنّها توضح المعنى وتكشف الدلالة، لأنّ المتكلم يخاطبُ المفرد أو المثني أو الجمع بغير ما وُضِعَ له في اللغة؛ لإضفاء معانٍ أخرى تزيد البيان وتحقق الإفهام^(٢) مُعبراً في ذلك عن معنى الخطاب

(١) ينظر: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر: عبد الغني بارة، مطابع الهيئة المصرية، ٢٠٠٥م: ١٢٩.

(٢) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد علي بيضون، دار الكتب العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م: ١٤١ - ١٦٥.

الذي هو (حالات الكلام)^(١). وربطَ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) معنى الخُطاب بالنظم^(٢) الذي هو "تعليقُ الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"^(٣) والذي يتضح لنا من خلال كلام الجرجاني أن الخُطاب عنده يخضع إلى نظام الاتساق والترابط والانسجام بين أجزائه، وبذلك لا يتعدى الخُطابُ كونه مستوىً تعبيرياً قادراً على شدِّ انتباه المتلقي والتأثير فيه، فضلاً عن توظيف معطياتٍ جماليّة تُضفي عليه سمات تتمثل بالامتاع^(٤)، فهو عملية أداء وإيصال

(١) معجم علوم العربية: محمد التونجي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م: ٢١٣.

(٢) ينظر: بنية العقل العربي: ٨٤.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨ م: ١١.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخُطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م: ٩٥.

رسالة من متكلم إلى مخاطب لتحقيق أغراضٍ
معينة.

وأعطى الدارسون والباحثون الغربيون
تعريفات متعددة للخطاب وتباينوا في مفهومه،
فالخطاب عند (دي سوسير) الكلام^(١)، وعند
(هاريس) وحدة لغوية يتجهها المتكلم تتجاوز
في أبعادها الجملة والرسالة^(٢)، وعند (بنفيست)
وحدة لغوية تنتجها لغة جماعية فهو فعلٌ
كلاميٌّ منطوق يتطلب راويًا مؤثرًا في الآخر
ومستمعًا^(٣)، وأضاف (بيار شاردو) إلى هذا

- (١) يُنظر: تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين، المركز
الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٩م: ٢١.
- (٢) ينظر: المصدر السابق: ١٧.
- (٣) يُنظر: الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، دراسة
في تحليل الخطاب: د. فرحان بدري الحربي، المؤسسة
الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ -
٢٠٠٣م: ٤٠.

وجود الاستعمال اللغوي المجمع عليه، والمقام الخطابي^(١). وقيل إنَّ الخِطاب هو النتاجات " الفكرية التي يُرادُ إيصالها إلى متلقٍ عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية تقدم موقفاً شمولياً أو جزئياً - في قضية - أو مشكلة قائمة أو مفترضة أي ما يُقدِّم من الفكر وجهة نظر في موضوع ما"^(٢). فالخطاب " نظام تعبيرٍ متقن ومضبوط"^(٣). وعلاقة الفكر بالخطاب علاقةٌ وطيدة، ومن خلال الخطاب يتجلى لنا الفكر.

(١) A.J.Greimas etj.courtes: semiotique, Dictionnaire raisonne, des sciences du langage, ed. Hachette , paris: p 389.

(٢) الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخه وبنيته الموضوعية: عبد الأمير زاهد، مجلة المناهج، العدد(٢٧)، السنة(٧)، ٢٠٠٢م: ١٢.

(٣) حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة، سالم يفوت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م: ٣٤.

ولكنّ التّاج الفكري لا يمكن أن يُعدَّ خطاباً إلا بوجود المتلقي لهذا التّاج؛ لأنّ الخطاب يُعبّر عن علاقة بين المنشئ الذي لديه الرغبة في إيصال الفكرة والمتلقي الذي يتلقى هذه الفكرة سواء كان هذا التلقي إيجاباً أم سلباً^(١).

أركان الخطاب:

الخطاب "جسرٌ ممدود بين شخصين محددين اجتماعياً"^(٢) لذلك يقتضي وجود مخاطب يقوم المخاطب بتوجيه الإرسال إليه^(٣)؛ لأن المتكلم

(١) ينظر: المصدر السابق: ١٢.

(٢) التفاعل النصي - التناصية النظرية والمنهج: نهلة فيصل الأحمد، مطبعة مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤٢٣هـ: ١٠٥.

(٣) ينظر: بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة: محمد عابد الجابري، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠م: ٦٤.

به " يقوم بعملية التركيب أي صياغة المفاهيم والمتصورات المجردة في نسقٍ كلامي محسوس ينقلُ عبر القناة الحسية بواسطة الأداة اللسانية، وأما المتقبل^١ وهو المخاطب يقوم بعملية التفكيك"^(١)، وبذلك تكون مهمة المخاطب هي النقل الفعّال للمعلومات، أي إنَّ ما يوجهه يشترط فيه الوضوح حتى يتلقاه المخاطب من دون عناء^(٢) كبير قدر الإمكان أي يشترط في الخطّاب أن يكون ضمن المنظومة المعرفية ليتسنى له الدخول إلى عالمه وفك رموزه. وحين نعود إلى التراث الأدبي العربي القديم نجد ذلك مبثوثاً في كلام العلماء على مختلف اهتماماتهم، فقد اعتنى سيبويه كثيراً بالمقام والمتكلم والمخاطب في أكثر

(١) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة: ٦٢.
(٢) ينظر: لسانيات النص: ٤٨.

من موضع^(١). وقال بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"^(٢)، وقال أيضاً: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار

(١) ينظر: الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويوه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ١/ ٢٣، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ٩٠، ٣٦١/٣، ٢٤٢.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ١٣٨-١٣٩.

الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال" (١) كما أشار الجاحظ إلى أركان الخطاب في تعريفه للبيان بقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محموله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع" (٢). فمن خلال هذا القول نستطيع رصد عناصر الخطاب الممثلة (٣) ب:

(١) البيان والتبيين: ١/١٣٦.

(٢) البيان والتبيين: ١/٧٦.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير): سحر كاظم حمزة، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٣٦-٣٧.

١. القائل = المخاطب.

٢. السامع = المتلقي.

٣. الغاية = التأثير.

وكذلك فصل عبد القاهر الجرجاني لرأيناه
يُفصلُ القول في عناصر الخطاب فقال: " فلو أنك
عمدتَ إلى بيتِ شعراً أو فصلٍ نثرٍ فعددتَ كلماته
عدداً كيف جاءَ واتفق، وأبطلتَ نضدهُ ونظامهُ
الذي عليه يُبنى وفيه أُفرغَ المعنى وأجرى،
وغيرتَ ترتيبهُ الذي بخصوصيته أفادَ كما أفاد،
وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن نقولَ في
(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل). (منزل قفا
ذكرى من نبك حبيب) أخرجته من مجال البيان
إلى مجال الهذيان، نعم وأسقطتَ نسبتهُ من قائله،
وقطعتَ الرجمَ بينه وبين منشئه، بل أحلتَ
أن يكونَ له إضافة إلى قائل، ونسبَ يختصُّ

بمتكلم"^(١) فمن يتأمل في هذا النص يجد عناصر الخطاب واضحة، وهي القائل، والمخاطب والقول، فضلاً عن تحقيق الترابط والاتساق والانسجام بين أجزاء الكلام.

ونصّ حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) على هذه العناصر من خلال نقده للأقاويل الشعرية، مضيفاً إليها عنصر اربعاً بقوله: "تختلف مذاهبتها وإنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه وما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع

(١) أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، منشورات دار المعرفة، بيروت، لبنان: ٢.

إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له^(١) فلو تأملنا هذا النص لوجدنا أنَّ القرطاجني قد حدد هذه العناصر بالآتي^(٢):

١. ما يرجع إلى القول نفسه = الخِطَاب

٢. ما يرجع إلى القائل = المخاطب

٣. ما يرجع إلى المقول فيه = الموضوع

٤. ما يرجع إلى المقول له = المخاطب

وتطور مفهوم الخِطَاب عند النقاد المحدثين ليكتسبَ دلالاتٍ متنوعة لتأثرهم بالدراسات

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ابو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشريفة: ٣٤٦.

(٢) ينظر: الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشرifiّة قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية: عبد الله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ١٥-١٦.

الأدبيّة والنقدية الغربية الحديثة. إذ عدّ الناقد عبد السلام المسديّ الخطاب الأدبي "كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمّت أجزاءه" (٣) مميزاً بذلك الخطاب الأدبي عن غيره من أنواع الخطاب الأخرى. وبذلك يغدو الخطاب هو السمة المشخّصة لكل نص. وبذلك تتنوع وسائل نقل الخطاب. واطلق الباحثون المحدثون على الجهة المتلقية للخطاب تسميات عدة منها: المرسل إليه، السامع، المتلقي، المخاطب (٤).

فالتخاطب منظومةٌ تتضمّن عناصر متعددة هي المرسل: وهو المتكلم الذي ينتج القول، والمتلقي: وهو المستمع الذي يتلقى القول،

(٣) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٣: ١١٤.

(٤) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٨١ - ٨٣.

والموضوع: وهو مدار الحديث الكلامي، والمقام: وهو زمان ومكان الحدث وكذلك العلاقات بين المتفاعلين بالنظر إلى تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات، والقناة: أي الوسيلة التي يتم بها التواصل كأن تكون كلام، كتابة، إشارة وشكل الرسالة: أي الشكل المقصود موعظة، خطبة، رسالة^(١).

وكذلك فإنَّ النص المكتوب يمثّل شكلاً من أشكال الخطاب؛ لأنَّه يتّمي إلى الآخر، وفي النتيجة تكون شروط إمكان الخطاب هي نفسها شروط إمكان النص المكتوب^(٢).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م: ٥٢-٥٣.

(٢) نظرية التأويل: بول ريكور: ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة

التداولية:

التداولية جزءٌ من علم أعم هو دراسة التعامل اللغويّ الذي هو جزءٌ من التعامل الاجتماعيّ، وهذا ما ذكره أوستين (Austin) إذ نقل اللغة من المستوى اللغويّ إلى المستوى الاجتماعيّ الذي يدور في أفق التّأثير والتأثير^(١).
فالتداولية تعنى بالاتصال اللغويّ ودراسته في إطاره الاجتماعيّ الذي له خصوصيّات تؤثر في الفعل الكلامي^(٢).

الثانية، ٢٠٠٦م: ٥٤.

(١) ينظر: بحث: (التداولية وتحليل الخطاب الأدبي): راضية خفيف بكري، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتّاب العرب، العدد (٣٩٩) تموز، ٢٠٠٤م: ٥٦.

(٢) ينظر: بحث: (الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية): سامية بنت يامنة، مجلة دراسات أدبيّة، مجلة دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد

وكذلك فإنَّ التداوليَّة تركز على الدلالة
القصدية التي لا تتجلى إلا في الاتصال اللغويِّ
الذي يضمه مقامٌ محدد وحال معينة؛ لذلك تهتمُّ
التداوليَّة باللغة التي يستعملها المتكلم، وعوامل
المقام التي تؤثر في اختياره للأدوات والألفاظ
والتركيب المعبرة من مقصده ومراده^(١).

وقد خَصَّ جورج يول آفاق الدرس التداوليِّ
أربعة مجالات هي^(٢):

١- دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم،
وكذلك دراسة المعنى كما يفهمه السامع أو

الأول، ماي ٢٠٠٨م - جمادى الأولى ١٤٢٩هـ: ٦١.

(١) يُنظر: تحليل الخطاب: ج، براون وج، سيرل، ترجمة
وتعليق: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، السعودية،
جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م: ٣٢.

(٢) يُنظر: التداوليَّة: جورج يول، ترجمة: د. قصي العتّاي،
دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: ١٩ - ٢٠.

القارئ أو المخاطب، وتحليل الالفاظ والكلمات
والعبارات والتراكيب.

٢- دراسة المعنى السياقي ومعرفة ما يقصده
الناس في سياق معين وكيفية خاصة، وتأثير
السياق في الكلام والقول وهذا يتضمن آلية
الكلام أو النظم وهوية صاحب النص، ومعرفة
أحواله: أين تكلم؟ ومتى؟ وفي أي ظروف؟.

٣- دراسة ما يحتمله النص من دلالة وإيصاله
أكثر من معنى، أي دراسة الكيفية التي يصوغ
بواسطتها المستمعون استدلالاتهم حول النص
للوصول إلى تفسير المعنى الذي يريده المتكلم.

٤- دراسة التعبير عن التباعد النسبي، فكل
ما يقال ويتكلم به يرتبط بمفهوم التباعد (عليه السلام)
المادي والاجتماعي والمفاهيمي، وهذا يعتمد على
خبرة مشتركة بين المتكلم والمستمع.

أمّا البلاغة عند الدارسين المحدثين فلها أكثر من دلالة واحدة فقل إنَّها (فن القول بشكل عام) أو هي (فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ)^(١)

امتشاج التداولية والبلاغة والخطاب:

التداولية تعنى بالنص وعناصره والعلاقة والعلاقات التي تربط بينها وتربطها بالموقف التواصلية الذي ينتظم فيما يسمى بـ(سياق النص) المحكم بشكل منتظم وطريقة منهجية منتظمة، وهذا كله يصدق عليه القول المشهور عند العرب في وصفهم للبلاغة (لكل مقام مقال)؛ لأنّ المقام والمقال كليهما يركّزان على التشكيل اللغوي الذي يتحيّز في موقف مخصوص معين؛

(١) يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م: ٨٩.

وهذا يجعل البلاغة والتداولية متفقتان في الاعتماد على اللغة بوصفها الأداة التي بها يمارس الفعل على المتلقي في موقف معين مخصوص، ومن هذا يتّضح أن البلاغة تداولية في صميمها؛ لأنها تمثل ممارسة الاتصال بين المتكلم والمخاطب والسامع، وبهذا يحل إشكال علاقتهما، ويتّضح تأثير بعضهما على بعض، وتلتقي البلاغة والتداولية في الاهتمام بالعناصر التي تشترك في الانجاز اللغويّ فالبلاغة تهدف إلى إيصال المعنى إلى المخاطب والسامع في مقام مخصوص، وتعنى بالسامع في إدراك المعنى الذي يريده المتكلم في مقام معين^(١)، وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري (ت: ٥٣٩٥) بقوله "ربّما كانت البلاغة في الاستماع الحسن"^(٢)

(١) يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٨٩ - ٩٠.

(٢) الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٢م: ٢٥.

فاللفظ والتركيب في الأفق البلاغيّ حين يستعملان في مكانهما المناسب وسياقهما المخصوص يؤديان أثرهما الفعّال في تحقيق مقاصد المتكلم أو صاحب النص، وهذا ما ركّزت عليه التداوليّة؛ لأنّها تعنى بالعلاقة بين بنية النص والموقف التواصلي المرتبط به والذي قيل فيه النص، وهذا يتطابق بشكل تام مع فكرة مقتضى الحال في المفهوم البلاغيّ، والبلاغة تركّز على التقنيات والوسائل البلاغيّة التي يقتضيها النص الذي ينشئه المتكلم كي يحقق غرضه المقصود. وتنهض بالكشف عن مقاصد المتكلم وتبيّن مراده من خلال العلاقة بين الفعل اللغويّ والموقف الاجتماعيّ^(١)، وترتكز على اللغة، وتمثل

(١) يُنظر: بحث (الاتصال اللسانيّ بين البلاغة والتداوليّة): سامية بنت يامنة، مجلة (دراسات أدبيّة) مجلة دوريّة فصليّة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات

منهجاً معرفياً يعنى بمن يتكلم، وبمن يقع عليه الكلام، وبما يتكلم به أي الكلام، وهو ما تدور عليه النظرية التداولية ويمثل أفقها الذي تخوض فيه^(١). وجعل تشارلز موريس (Charles Morris) مستوى آخر يضاف إلى مستويات اللغة ووسائلها في الوصول إلى المعنى وفهمه فذكر في ذلك ثلاثة مستويات:

- المستوى التركيبي أو النحوي: يعنى بدراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها ببعض.

والخدمات التعليميّة، الجزائر، جامعة مستغانم، العدد الأول، ماي / ٢٠٠٨م - جمادى الأولى / ١٤٢٩هـ: ٦١. (١) يُنظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م: ٨، واستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م: ٢٣.

-المستوى الدلاليّ: يعنى بدراسة علاقة
العلامات بما تؤول إليه من معنى.

-المستوى التداوليّ: يعنى بدراسة علاقة
العلامات بمستعملها وبمؤوليها^(١).

(١) يُنظر: المقاربة التداوليّة: فرنسواز أرمينكو، ترجمة:
سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت: ٨.

المبحث الثاني

نماذج من المظاهر التداولية في خطاب

الإمام علي (عليه السلام) في عهده لواليه علي مصر مالك

بن الحارث الأشتر النخعي (رضي الله عنه)

تضمن هذا العهد المبارك مظاهر تداولية كثيرة في خطابه (عليه السلام) لملك الأشر (رحمته الله)، ولكننا سنقتصر على ذكر نماذج متعددة منها ودراستها انسجاماً مع الشروط المسبقة التي وُضعت للبحث؛ ولضيق المكان أيضاً إذ لا تتسع صفحات - لقلتها - هذا البحث لدراسة الأمثلة والشواهد التي تضمنت بعداً تداولياً جميعها؛ لذا سندرسها ببحثٍ مخصص نفصل القول فيه ونتم بيانه بشكل واسع مستقصى إن شاء الله تعالى. وسنبداً بذكر هذه النماذج على وفق ورودها في ذلك العهد المقدس بدءاً من أوله إلى منتهاه، وما تأخر منها سيكون ذكره مرتباً بما يتسع له البحث إن شاء سبحانه. فمن تلك المظاهر ما يأتي:

١- وظيفة المحور: هي أن الكاتب أو صاحب النص يريد إيصال معلوماتٍ للمخاطبٍ تدور

حول محور محدد أو نواة ما هو جديد أو مهم بالنسبة له وللمخاطب، وتكاد هذه الوظيفة تتجلى في كل تركيب في العهد المقدّس من أوّلِهِ إلى آخرِهِ، فكل جملة فيها إشارة إلى قضية العهد الرئيسة التي جاء العهد لأجلها وهي تنظيم علاقة الوالي بأهل ولايته أو الراعي برعيته، واستحضار مخافة الله عزّ وجل فيهم والإحسان إليهم. وهذه الوظيفة الأولى من الوظائف التي تؤدّيها التداولية^(١)، تتجلى بلاغتها في أنها جعلت العهد وحدةً محوريّةً موضوعيّةً واحدة تقرب به من الوحدة المحوريّة في كلّ سورة من سور القرآن الكريم المباركة في أولها وأوسطها وخاتمتها، فقد جاء في أول العهد قوله (عليه السلام): "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرٍ"

(١) يُنظر: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة: ١٧ - ١٩،

المؤمنين مَالِكَ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ
 حِينَ وُلَّاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا،
 وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا. أَمْرُهُ بِتَقْوَى
 اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ
 فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا،
 وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ
 اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ
 تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْرَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمْرُهُ
 أَنْ يَكْسِرَ مَنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ وَيَنْزِعَهَا عِنْدَ
 الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
 اللَّهُ...»^(١).

وجاء في أوسطه قوله (عليه السلام): «وَأُرْدُدُّ إِلَى

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو
 الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى الباي
 الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م: ١٧ /
 ٣٠.

الله ورسوله مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهْ
عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ
أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١)، فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ
الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ
بِسُنَّتِهِ الْجَمَاعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ... " (٢). وَخَتَمَ (عليه السلام)
عهده المقدس بقوله: " وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ
رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ
يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ، مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى
الْعُدْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ
فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ، وَمَتَامِ النِّعْمَةِ،

(١) سورة النساء: ٥٩، والآية بتماهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٢.

وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَحْتَمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ
وَالشَّهَادَةِ، وَإِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ»^(١).

فالخطابُ التداوليُّ في العهدِ كلِّه يركِّز على
محور رئيس، ويدور في أفقه هو حسن رعاية
الوالي لرعيته وإطاعة الله سبحانه فيهم؛ للفضول
برضاه تعالى وانقاء غُضْبِهِ عزَّ وجل^(٢).

٢- وظيفة البؤرة: تتجلى هذه الوظيفة في
تركيب النصِّ كلِّه من مقاطع متعددة تتنظم
بعضها ببعض بعلاقات دلالية ترجع إلى وحدة
دلالية عليها تجمعها^(٣). ويظهر هذا واضحاً في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ١١٨.

(٣) يُنظر: تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث
(أطروحة دكتوراه): دهمون كاهنة، الجزائر، جامعة مولود
معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م: ٥١.

عهد الإمام (عليه السلام) المقدس، في قوله: «ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُؤْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ فَلْيُكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةٌ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَاْمَلِكُ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ...»^(١).

وقوله (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمَ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُوكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠ - ٣١.

مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمِ الْعِلُّ، وَيُؤْتَى عَلَى
 أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
 وَصَفْحِكَ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ
 اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ
 عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَّلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ
 أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ..»^(١).

وقوله (عليه السلام): «وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ،
 فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ
 وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ،
 وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَنْدُوحَةً. وَلَا
 تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي
 الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ. وَإِذَا
 أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَهْبَةً أَوْ
 مَخِيلَةً، فَاَنْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٢.

مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طُمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ
مِنْ غَرِبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ
عَقْلِكَ. وَإِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ
بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيَمِينُ كُلَّ
مُخْتَالٍ!...»^(١).

ففي هذه النصوص الثلاثة نجد كل جملة
وكل تركيب فيها يتضمنان دلالة جزئية ترتبط
بالدلالة التي قبلها والتي بعدها برباط دلالي
عام يتشكل بجمع تلك الدلالات، فيمثل هذا
النص أو ذاك فالنص الأول تكاد تكون بؤرته
الدلالية ذاتية متوجّهة إلى المخاطب نفسه (الوالي)
تدعوه إلى الاعتبار والموعظة بمن سبقه من
الولاء والدول، وتحذره من نفسه واتباع هواها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٢ - ٣٣.

وشهواتها. والنص الثاني تتمركز دلالاته على علاقة الوالي بالرعية، وكيف يجب أن تكون؟. وفي النص الثالث تتمركز الدلالة حول تحذير الوالي أو الملك أو السلطان من عصيان الله عزّ وجلّ و التعالي الاختيال والتكبر والتجبر في أقواله وأفعاله مع الرعيّة أو مع الله سبحانه.

٣- إظهار التودد في الخطاب: الاهتمام بالمخاطب والعناية به وإظهار التودد له واحترامه كل ذلك يمثل مظهرًا تداوليًا له أثر كبير في التأثير على المخاطب واستمالته واقناعه بالرسالة التي يقصدها المتكلم أو صاحب النص (المخاطب)، وفهم محتواها ومعانيها، وهو ما يعبر عنه بـ(منطق التأدب)^(١). بل إن هذا يعدّ منهجاً تربويًا صائبًا مثيرًا في إحداث

(١) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية:

التغيير المطلوب في عملية التربية والتعليم على اختلاف مستوياتها ومراحلها. وحين نقرأ عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رضي الله عنه)، نستشف حضور هذا الجانب في كلِّ فقرةٍ من فقراته على طوله وامتداده على الرغم من كثرة أساليب الأمر والنهي الحقيقيين، فقد حرص الإمام (عليه السلام) على ابداء جانب العطف والرعاية والتودد بمن يخاطبه ويستمع إليه - وهذا شأنه مع الناس كلهم - لأنه ينشد الإصلاح في كلِّ شيء في الحياة. ومن أمثلة ذلك قوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ آثِرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاَسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ. وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا

تَظْهَرُ مَوَدَّتِهِمْ إِلَّا بِسَلَامَةٍ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصْحُ
 نَصِيحَتِهِمْ إِلَّا بِحِيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقَلَّةِ
 اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِثْبَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.
 فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ مِنْ حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ،
 وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ
 لِحُسْنِ فِعَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا
 تَضْمَنْ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ
 غَايَةِ بَلَائِهِ. وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظَمَ
 مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضِعَّةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ
 تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا....»^(١).

«وَأِيَّاكَ وَالْأَسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسُوءَةٌ،
 وَالتَّغَايِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعَيُونِ، فَإِنَّهُ

(١) شرح نهج البلاغة: لمحمد عبده، الطبعة الأولى، إيران
 - قم، توزيع: مؤسسة العطار الثقافية، العراق - النجف
 الأشرف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ١ / ٤٠٦ - ٤٠٧.

مَأْخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ
أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ. اْمَلِكُ
حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسُورَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَعَرْبَ
لِسَانِكَ، وَاحْتِرْسَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ،
وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضْبُكَ، فَتَمْلِكَ
الْاِخْتِيَارَ. وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثَرَ
هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ...»^(١).

٤- الفعل الكلامي الإيجابي: يتجلى هذا
المظهر التداولي في عهد الإمام علي (عليه السلام) بالأفعال
الكلامية الممتلئة بالمعاني والمكتنزة بالدلالات
المتشابكة التي تعكسُ نظر المتكلم في الحياة
والعالم والإنسان وتدعو المخاطب إلى إمعان
النظر فيها والإفادة منها والسعي للوصول
إليها. ومن هذا قوله (عليه السلام): «ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ١١٣.

أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُؤْلٌ
 قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ
 أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ
 قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا
 يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ
 عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ
 الصَّالِحِ...»^(١).

وقوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ
 أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا
 الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِيضًا الْخَاصَّةِ،
 وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ وَلَيْسَ
 أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْنَةً فِي الرَّخَاءِ،
 وَأَقْلَلُ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهُ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلُ
 بِالْإِحْفَافِ وَأَقْلَلُ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأُ عُدْرًا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠.

عِنْدَ الْمَنَعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ، مِنْ
أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ،
وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صَغُوكَ
لَهُمْ، وَمَيْلَكَ مَعَهُمْ»^(١).

وكذلك قوله (عليه السلام): «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ
بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا
جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ
الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ
شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ. إِنَّ شَرَّ وَزَرَائِكَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيرًا، وَمَنْ شَرَّكُهُمْ فِي الْآثَامِ،
فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ،
وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ
مَنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ
أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مَنْ لَمْ يُعَاوَنِ ظَالِمًا

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٣ / ٤٠٢.

عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلَاكَ، أَخَفُّ عَلَيْكَ
 مَوْوَنَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ وَأَخْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا،
 وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ الْفَأ. فَاتَّخِذْ أَوْلَاكَ خَاصَّةً لِحَلَوَاتِكَ
 وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ
 الْحَقِّ لَكَ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعِدَةً فِيَمَا يَكُونُ مِنْكَ بِمَا
 كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَقِعَّا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ
 وَقَعَ. وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضُّهُمْ
 عَلَى الْأَلَا يُطْرُوكَ وَلَا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ
 كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُذْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.
 وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ
 فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ،
 وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَالزِّمُّ كُلًّا
 مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ»^(١).

٥- الفعل الكلامي السلبي: يتجلى هذا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٤٣ - ٤٤.

الفعل التداوليّ في عهد الإمام (عليه السلام) المقدّس بتذكير المخاطب بالله سبحانه وتعالى والالتزام بأوامره ونواهيه والتعبّد بأحكامه الشرعيّة، وتحذير المخاطب من غضبه عزّ وجلّ وعقابه وما أعدّه لمن خالف ذلك بهواه وعصيانه وتكبّره؛ فيخلق هذا الفعل الكلامي جوّاً من القلق والخوف والرغبة في جلب انتباه المخاطب أو المتلقّي ويزيد من جذبها نحو المتكلّم وتُقويّ عرى الاتصال بينهما فيؤدّي ذلك الفعل أثره ويؤدّي النصّ رسالته وغرضه في أتمّ صورة، فيجعل ذهنهما ينشئ تصوّرات متعدّدة وأفكاراً مختلفة تجعلهما في شعور سلبيّ ناتج عمّا ذكّر من كلام. ومن أمثلة ذلك قوله: «إِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهُ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَالٍ!»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٣.

وقوله (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَالذَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بغيرِ
 حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ
 لَتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ
 سَفْكِ الذَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَبْتَدِئُ
 بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الذَّمَاءِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقَوِّنَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ
 ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ وَيُوْهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلَا
 عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لِأَنَّ
 فِيهِ قَوْدَ الْبَدَنِ، وَإِنْ ابْتُلَيْتَ بِخَطِيئَةٍ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ
 سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ
 فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَةَ سُلْطَانِكَ
 عَن أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ»^(١).

وقوله (عليه السلام): «وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ،
 وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ١٣ / ٤١٦.

مَنْ أَوْثَقَ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا
يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ»^(١). وَقَوْلُهُ (عليه السلام):
«وَأَيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزْيِيدَ
فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعْدَهُمْ، فَتُسَبِّحَ مَوْعِدَكَ
بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ
يُذْهِبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفُ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ
وَالنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ((كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))»^(٢)^(٣).

٦- المجال التخييلي: الذي يتألف من نسقٍ
من الصور التي تترك أثراً إيجابياً لدى المخاطب
أو المتلقي، بما يحتويه من القيم الدينية والإنسانية،
والأنظمة المعرفية والاجتماعية؛ فيجعلها أكثر
اتصالاً بالمتكلم فينجذبان إليه وإلى نصه وينعمان

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٣ / ٤١٦.

(٢) سورة الصف: ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٣ / ٤١٧.

النَّظَرُ فِيهِ. والقراءة " أكثر من كونها مجرد إدراك حسي لما هو مكتوب. فالنصوص الأدبية تُنشط ملكاتنا وتمكّننا من إعادة خلق العالم الذي تقدمه. ويمكن أن ندعو نتاج الفعّالية الإبداعية بالبعد الفعلي للنص الذي يمنح النص واقعيته، وهذا البعد ليس النص نفسه ولا تخيل القارئ إنّه نتيجة النص والتخيل معاً" ^(١) فالتخيّل ركن أساس في النص الأدبي؛ لأنّ " الأدب لا يجد سبيله إلى الظهور إلّا بتلك المفارقة البارعة التي تقوم على التخييل والتمثيل اللغوي في آن واحد" ^(٢) وهذا عمل الكاتب أو صاحب النص كي يحدث

(١) التخييل والتواصل، مفارقات العرب والغرب: محمد نور الدين أفاية، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م: ١٨.

(٢) عملية القراءة، مقترّب ظاهراتي: فولغانغ آيز، ضمن كتاب نقد استجابة القارئ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٩م: ١٩٩.

التأثير في المخاطب والمتلقي، وإنجاح عملية التواصل^(١). ف"التخييل هو تظاهر أي عبارة من أفعال كلام متظاهر، بها يصف فيه الكاتب عالماً متظاهراً به أو يتظاهر بذلك ليحاكي المواقف والعالم حين يحضر الخيال"^(٢) وهذا الفعل الكلامي المتخيّل يؤدّي إلى اتساع أفق الكلام، ويفتح لغة الكلام على معانٍ ودلالات تداوليّة متعددة، ويمرر الكلام من المنطوق الشفاهي، وقيود الزّمان والمكان^(٣).

ومن ذلك قوله (عليه السلام): «وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ

(١) يُنظر: تداوليّة الخطاب السردّي بين القديم والتّأخير: ٢٧.

(٢) تداوليّة الخطاب السردّي بين القديم والحديث: ٣٠.

(٣) يُنظر: تداوليّة الخطاب السردّي بين القديم والحديث: ٣١. وفي آفاق الكلام وتكليم النص: عبد الواسع الحميري، دار الزمان للطباعة، دمشق - سوريا، ٢٠٠٩م: ٢٣٩.

نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ وَيَنْزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ،
فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ^(١).

فقد صوّرَ النفسَ بشيءٍ صلبٍ قابلٍ للكسر كالعود ونحوه، فحين تميل به إلى الشهوات يجب عليه كسرها أو الكسر منها كي تفيء إلى الصواب وتستقيم على الطريق الصحيح، ففي هذه الصورة الحسيّة والوصف المادي لما يُكسر إشارةٌ إلى ضرورة الكسر للنفس في حال ميلها نحو الشهوات أو اقتربت من ارتكابها، كحال العود الذي لا بدّ من كسره لإصلاحه أو لجعله مفيداً ونافعاً. وكذلك الحال مع الخيل الجامحة التي تمضي براكبها وقائدها صوبَ جهةٍ لا يريدونها أو لا يريد التوجّه إليها فتجمع به نحو الهاوية أو المجهول؛ لذا عليه أن يكفّها ويوقفها عن هذا الجموح، ويسيطر عليها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠.

ويقودها نحو مقصده، وكذلك النفس الإنسانية يجب أن يُوقَفَهَا العَقْلُ ويُسَيِّطَرَ عليها ويقودها نحو الصواب والصحيح والصالح.

ففي هاتين الصورتين يتجلَّى المعنى واضحا لدى المخاطَبِ؛ لأنَّ ما يدلَّانِ عليه من المعاني التداوليَّة التي يمارسه المخاطَبُ والمجتمع إلى اليوم.

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): «فَأَمْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْأَنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمَ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرُضُ لَهُمُ الْعِلْلُ...»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٢.

فصور (عليه السلام) الهوى كشيء يملكه الإنسان،
ومن ملك شيئاً تمكّن منه وسيطرَ عليه وتحكّم
به، فإن ملكت الهوى الذي يُسير النفس تمكنت
من النفس وسيطرتَ عليها في كلِّ شيء فلا
تجعلها تسترسل في كلِّ شيءٍ تُحِبُّه، ولا تجعلها
تججم عمّا كرهته^(١)، وبذلك تتمكن من النجاة
من المهلكات، وتتجه نحو الصواب والسداد.

٧- استعادة التاريخ والتراث: لذكر التاريخ
وما ينطوي عليه التراث أثرٌ مهم في فهم
النص وإيصال دلالاته إلى المخاطب والمتلقي،
وخلق تفاعل اجتماعي وثقافي بين المتكلم أو
صاحب النص وبين المخاطب أو المتلقي، وهذا
يجعل الخطاب ذا معرفة سياقية تداولية بينهما
فيتضح الموضوع والأيدولوجيات المتداخلة

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٢.

فيه، فالذكريات والتاريخ تُزوّد القارئ والمتلقي والمخاطب بالمعلومات؛ لأنّها تُقربهم من مخزونه الثقافي الذي تشكّل في الماضي المشترك بينهم جميعاً وهذا يُثري عملية فهم النص ودلالاته التي يحملها الخطاب^(١). ومن ذلك قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ اَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ...»^(٢).

فاستحضار التاريخ في هذا القول له الأثر

(١) يُنظر: نظرية التلقي: روبرت سي هولب: ترجمة: د. عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، الطبعة الأولى: ٢٠١٤ - ٢٠١٥، وتداوليّة الخطاب السرديّ بين القديم والحديث: ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠

الكبير في إيصال المعنى المقصود والدلالة المتبغاة إلى المخاطب، فالنص يفيد تحذير المخاطب (الوالي) مما وقعت به الدول المتعاقبة على مِصْرَ من الظلم والجور كي يتجنّب، وكذلك يفيد حثّ الوالي على العمل الصالح وتحقيق العدل وإنصاف الناس^(١). ومنه أيضًا قوله (عليه السلام): «وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا وَلَا مُضَيِّعًا، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَّةُ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ: كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: " صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا »^(٢). فقد نقل الإمام (عليه السلام) موقفًا اجتماعيًا تاريخيًا شرعيًا من أجل إيصال المعنى والدلالة المقصودين إلى مخاطبه مالك بن الحارث (رضي الله عنه). وكذلك قوله

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٨٩.

(عليه السلام): «وَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ، مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أُثْرٍ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِهَا شَاهِدَتَهُ مِمَّا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا...»^(١).

فقد أحال (عليه السلام) مخاطبته إلى ذلك التاريخ الماضي كي يستفيد منه فينتفع بالسُننِ الصالحة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو للإمام نفسه (عليه السلام)، أو لغيرهما من الدول العادلة الأخرى المحفوظة سيرها وأعمالها في التاريخ.

٨- السياق الاجتماعي والموروث الشعبي:
السياق الاجتماعي أداة مهمة في فهم الخطاب، يتجلى في القيم والاعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد، يمكن المتكلم أو صاحب النص من إيصال المعنى الذي يقصده إلى المخاطب والمتلقي

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة: ٣ / ٤١٦ - ٤١٧.

بالاعتماد على قراءتهما وذهنهما وخيالهما وكفاءتهما الثقافية والمعرفية، والموروث الشعبي يثير المعارف العامة والخاصة ويحمل معانٍ ودلالاتٍ كثيرة، يفتح أبواب الفهم ومعرفة الدلالة أمام المخاطب والمتلقي من أجل الوصول إلى مقاصد المتكلم أو صاحب النص^(١). وهما يمثلان مظهرًا تداوليًا وظيفته بيان المعنى والدلالة بين المتكلم والمخاطب. ومنه قول الإمام (عليه السلام): «وَأَشْعِرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمُحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمَ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ»

(١) يُنظر: النظرية الأدبية المعاصرة: رمان سلدن، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م: ١٧٢ أو علم النص: جوليا كرستيفيا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩١م: ٣٦، تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث: ١٩٢ - ١٩٥.

لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ
الْعَلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا،
فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ
وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ
فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ
وَلَّاكَ...»^(١).

ففي قول الإمام (عليه السلام) هذا توظيفٌ للسياق
الاجتماعي في خطابه لمالك بن الحارث الأشتر
(رضي الله عنه) يتجلى في نقل حال الرعية والناس
وواقعهم الذي يجب على الوالي مراعاته وتفهمه
في إعدارهم فيه وتقبله منهم في اظهار العفو لهم
واسباغ الصفح عليهم، وكذلك يتجلى السياق
الاجتماعي في قوله (عليه السلام): "... فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ:
إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ..."

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٠ - ٣١.

فزيادةً على كونه جاء تعليلاً لمراعاة الرعيّة و
 الناس وضرورة الإحسان إليهم والرأفة بهم
 والعطف عليهم وإظهار المودّة لهم من الوالي
 أو السلطان أو الملك، فيه إشارةٌ إلى ذلك المبدأ
 العظيم وهو وحدة الأصل والخلق، ووحدة
 الدين، الذي يقتضي المساواة بين الناس، وعدم
 الترفّع عنهم والتعالي والتكبرّ عليهم؛ لأنّهم
 النسيج الاجتماعيّ البشريّ الإنسانيّ الذي جاء
 منه، وينتمي إليه كلُّ إنسان. ومما يتّصل بالموروث
 الشعبيّ قوله (عليه السلام): «وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا
 ضَارِيًا تَغْتَنِمَ أَكْلَهُمْ» الذي ذهب معناه مذهب
 الأمثال، إذ فيه إشارةٌ لما كانوا عليه قبل مجيئ
 الدين الإسلاميّ العظيم، إذ كان كثيرٌ منهم يمتهنّ
 الإغارة والسلب والنهب كالسبع حين يغير على
 فرائسه، ففي هاتين الجملتين رفضٌ شديدٌ لهذا
 العمل، وتهكّمٌ كبير له، وسخريةٌ لاذعة لمن

يقوم بذلك من الولاية والحكام. ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ...»^(١).

فهذا القول يذكرنا بما تعارف عليه الناس بقولهم (خير الأمور أوسطها) ولكن الإمام (عليه السلام) قيّد هذا المعنى بلفظ (الحق) فاختيار الأوسط من الأمور ليس على إطلاقه يشمل كل شيء، بل أوسط الأمور في قربها من الحق.

وكذلك يتجلى البعد التداولي في خطابه (عليه السلام) في ربط النص بالسياق الاجتماعي؛ إذ قسمه على وفق فقرات متعددة ثم خصص كل فقرة بطبقة من طبقات المجتمع أو ب فئة من فئاته، وهو ما

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٤.

عبر عنه بـ (الرعيّة)، فذكر (عليه السلام) عامّة الناس ثمّ
 الولاة ثمّ حاشية الولاة، ثمّ أهل الذمّة من
 الديانات الأخرى، ثمّ الجنود ثمّ الفقراء أهل
 الحاجة والمسكنة، ثمّ الصالحين وذوي الأحساب،
 ثمّ القضاة، ثمّ عمّال الدولة (الموظفين)، ثمّ
 المزارعين وأهل الخراج، ثمّ كتاب الولاة، ثمّ
 التجّار وأهل الصناعات، ثمّ الطبقة السفلى وهم
 الذين لا حيلة لهم والمحتاجين والفقراء والبؤساء
 وأهل العاهات والمرض المزمّن^(١).

٩- الرموز: الرموز لها بُعدٌ تداوليٌّ؛ لذا
 تستعمل كأدوات ووسائل في النصوص الإبلاغيّة
 وفي الخطابات؛ لإيصال المعاني، فتقوم بوظيفة
 التوصيل والتأثير؛ لأنّها لها دلالاتٍ تداوليّةً
 متعارفاً عليها بين المتكلّم أو صاحب النصّ وبين

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٤ / ٤٠٠ - ٤١٢.

المخاطب أو المتلقي أو القارئ أو المستمع^(١). وفي هذا العهد المقدس نكاد لا نجد فيه مثلاً ظاهراً وواضحاً وضوحاً تاماً؛ لأنَّ الهدف الرئيس الذي جاء لأجله، والظروف التي قيل فيها، وحال المخاطب ووظيفته اللذين سيق لهما هذا العهد تقتضي جميعها وتستعي كلها أن يكون الخطاب ولغته مباشرين وظاهرين وواضحين فيما يحملانه من معانٍ ودلالاتٍ كثيرة ومتنوعة ومختلفة تتعد عن التميز والتأويل والتورية؛ كي لا تفهم خطأً ولا تُفسَّر باطلاً ولا تُؤول تأويلاً فاسداً؛ فيضيع الهدف من العهد ويفقد الأثر المرجو منه. ولكننا قد نجد فيه دلالةً رمزيّةً أو يحتملها نصٌّ منه، كقول الإمام (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنَ وَأَسَاهُمُ فِي مَعُونَتِهِ،

(١) يُنظر: تداويّة الخطاب السرديّ بين القديم والحديث:

وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ
 وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هُمُومُهُمْ
 هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ
 يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ»^(١). فقد يدلُّ على أنَّ الوالي
 الأمين الذي يخاف الله تعالى لا يكون غنيًّا على
 الرغم من كونه واليًّا؛ لأنَّه لا يسرق من بيت
 المال بدليل أنه (عليه السلام) لم يُشر إليه في ظاهر النص
 بالصدقة ومساعدة أهل الجنود وأسْرهم كي لا
 يقلق الجند على أحوال ذويهم وأهليهم وهم
 في سوح المعارك يجاهدون الأعداء فيؤثر ذلك
 عليهم، فإذا اطمأنوا عليهم توحدَّ همُّهم واقتصر
 على مقارعة الأعداء، فكون الوالي ليس غنيًّا
 يقربُه من تحقيق العدالة بين الناس ويكون أثر
 في مواساتهم وعطف قلوبهم عليه بالإضافة إلى
 مواساة الموسرين لهم.

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٣ / ٤٠٦.

١٠- التحفُّظَات الخَطَابِيَّة (الأقوال المضمرة):
أغلب النصوص الأدبيَّة العالِيَّة تتضمَّنُ أقوالاً مضمرة لها معانٍ ودلالات متنوعة ومختلفة يقصدها المتكلم أو صاحب النصِّ بين ألفاظ النصِّ وتراكيبه على الرغم من عدم ذكر أقوالها، فالأقوال المضمرة هي " كتلةُ المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكنَّ تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيَّات سياق الحديث" (١)
وهذا الإضمار يتطلَّب أسلوباً خطابياً مشحوداً ومحبوگًا بالبلاغة وتوظيفاتها الناجعة. وهو مظهرٌ تداوُلِيٌّ مُقَيَّدٌ أيضاً بظروف الخطاب ومواقفه وأحواله التي تستلزم الإضمار وتستدعيه على وَفْقِ حال المتكلم والمخاطبِ والمتلقي والمستم، فهناك أحوالٌ تجعل الإضمار في الخطاب ضرورة

(١) C.K. oreccioni: L'implicito, ed. Armand colin, par is 1986: p 39.

كي يوصل الرسالة ومقصد المتكلم كما يريدُه، وهناك أحوال للخطاب تأبى الإضمار وتُبعدهُ عن ساحة النصّ والخطاب؛ لأنّ ظروفها، وحال المتكلم والمخاطب يقتضيان المباشرة في الكلام والوضوح والبيان في المعاني والدلالات، وهذا الاقتضاء ينافي الإضمار، وهذا الحال ينطبقُ بشكل تام على نصّ عهد الإمام (عليه السلام) بل على أركان عملية التّخاطب كلّها (صاحب النصّ، المخاطب، النصّ، موقف الخطاب أو ظروفه)؛ لذا نكاد لا نجد أمثلة للإضمار في هذا العهد المقدّس؛ لأنّه بيانٌ لأُمور الدولة كلّها وتنظيمٌ لمؤسّساتها، وعلاقة رؤسائها بمرؤوسياتها من القادة والموظّفين والعمال وعمامة الناس، وهذه أحوالٌ متعددةٌ مختلفة تقتضي المباشرة في الخطاب، وإتمام الذكر، ووضوح الدلالة والبيان، ولكننا قد نجدُه في جملةٍ أو جملتين كما في قوله (عليه السلام):

«وَلْيَكُنْ أَبَعْدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ،
 أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي
 أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ
 مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يُحْكِمُ
 عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ،
 يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ
 عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ
 كُلِّ وِثْرِ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ، وَلَا
 تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ
 تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ»^(١).

فلم يفصل (عليه السلام) الذكر في أنواع العيوب،
 ومواطن العورة، ومواضع الستر، وما لا يجوز
 للوالي الكشف عنه، وما يجب عليه ستره،
 فذكر كل ذلك بصورة عامّة، وما كان متفرّعا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٦.

عنه مضمراً معلوماً في ذهن المُخاطَبِ والمتلقي
والسامع، فلا موجبَ لذكره ولا زيادةَ بيان له،
بل إنَّ اضماره أفسحُ وأبلغُ من ذكره.

الخاتمة

بعد رحلة المخير هذه في عُبَابِ العهدِ المقدّسِ للإمامِ علي (عليه السلام) لواليه علي مِصرَ مالكِ بنِ الحارثِ الأشترِ النَّخعي؛ بحثًا عن مظاهرِ الخطابِ التداوئيِّ وبلاغتِه؛ والتقاطِ دُرره ونفائِسِه في ذلك وما سَطَّرَهُ (عليه السلام) من بصماتِ أقوالِه المقدّسة في هذا العِلمِ اللسانيِّ، وسَأوَجُزُّ ما رصَدْتُهُ من نتائجَ في متنِ البحثِ وصفحاتِه، في النقاطِ الآتية:

١- يُمثّلُ هذا العهدُ المقدّسُ مصدرًا معرفيًّا عميقًا لا سبرَ لأغوارِه ونواحيه، يَعَجُزُ كُلُّ من أرادَ النَّسجَ على منوالِه أو الإتيانَ بما يَقْرُبُ منه، في الماضي والحاضر والمستقبل.

٢- يمكنُ يُمثّلُ مصدرًا تشريعيًّا تُستَمَدُّ منه القوانينِ و المبادئِ والأنظمةِ الوضعية لكلِّ دساتير

الدول والأمم والشعوب في العالم الإسلامي والعربي والإنساني، وهو صالحٌ لذلك في كلِّ عصرٍ وزمان، في القديم والحديث والمستقبل.

٣- إنَّه يُمثِّل تطبيقًا لكل المبادئ الإسلامية الصحيحة الحقَّة العادلة في تنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض في التعامل الإنساني مع الآخر، التي جاء بها القرآن الكريم، والسُّنَّة النبويَّة الصحيحة، وما وردَ عن أهل البيت (عليهم السلام).

٤- إنَّه يُمثِّل ثروةً لغويَّةً كبيرةً تسعُ علومَ اللغة كُلِّها، وكذلك تسعُ الدراسات والنظريَّات والمناهج اللغويَّة الحديثة.

٥- كان خطابهُ (عليه السلام) في هذا العهد المقدَّس أنموذجاً لغويًّا راقياً تجلَّت فيه مظاهر النظرية التداوليَّة في أبهى ألفاظها وتراكيبها وصورها.

٦- شكَّل خطابهُ نسقًا تداوليًّا متوازيًا

ومتساوياً في هذا العهد المقدّس، في التعبير وإيصال المعنى والدلالة والتأثير.

٧- خلقت المظاهر التداوليّة في خطابه (عليه السلام) إطاراً تواصلياً مستمرّاً بينه وبين مخاطبه من أوّل جملة في العهد المقدّس إلى آخر جملة فيه.

٨- المظاهر والمكونات التداوليّة في الخطاب جعلت مواضيع العهد المقدّس تتمحور حول قضايا رئيسة تدور حولها معانٍ فرعيّة في كلّ فقرة من فقراته.

٩- أدّت وظيفة البؤرة بعداً تداولياً تمثّل في رfid المخاطب بمعلوماتٍ كثيرة وأخبار؛ فخلقت ربطاً تواصلياً بين المتكلّم والمخاطب.

١٠- تجلّى الخطاب التداولي في هذا العهد المقدّس بالأفعال الكلاميّة المباشرة بنسبة كبيرة جداً كأفعال الأمر، والنهي، والتحذير،

والنفي والتوكيد والنداء؛ لأنها أنسبُ من غيره في هذا العهد؛ لانسجامها مع أحوال المتكلم والمُخاطَب وموضوع الخطاب والغرض منه أو الهدف، وكذلك المقاصد المبتغاة.

١١- أركان الخطاب الرئيسة (المتكلم، المُخاطَب، الرسالة (النَّص)) بشكل واضح ومستمر في كلِّ جملة وفي كلِّ فقرة وفي كلِّ موضوع، في نسقٍ خطابيٍّ واحدٍ من أول العهد المقدس إلى آخره، فلم يَختَفِ ركنٌ منها، ولم يتبدَّل نسقها، وهذا يظهر البعدَ التداولي للخطاب بشكل واضح جلي؛ يكشف عن أهمية موضوع الخطاب الكبيرة وأمانة المتكلم العظمى ومسؤولية المُخاطَب ووظيفته الجسيميّتين.

١٢- كان للموروث المعرفي والثقافي أثرٌ في

إيصال المعنى ودلالات النص من خلال ترصيع الخطاب بالآيات القرآنية وتضمينها، والأحاديث النبوية، والأخبار التاريخية مما يؤدي إلى تعزيز عملية التلقي والفهم والتأويل لدى المخاطب والقارئ والمستمع.

١٣- تجلّى المظهر التداوليّ في خطابه (عليه السلام) في ربط النصّ بالسياق الاجتماعيّ؛ إذ قسّمه على وفق فقرات متعددة، ثمّ خصّص كلّ فقرة بطبقة من طبقات المجتمع أو بفئة من فئاته، وهو ما عبّر عنه بـ(الرعيّة)، فذكر (عليه السلام) عامّة الناس ثمّ الولاة، ثمّ حاشية الولاة، ثمّ أهل الذمّة من الديانات الأخرى، ثمّ الجنود ثمّ الفقراء أهل الحاجة والمسكنة، ثمّ الصالحين وذوي الأحساب، ثمّ القضاة، ثمّ عمّال الدولة (الموظفين)، ثمّ المزارعين وأهل الخراج، ثمّ كتاب الولاة، ثمّ التجّار وأهل الصناعات، ثمّ الطبقة السفلى وهم الذين

لا حيلة لهم والمحتاجين والفقراء والبؤساء وأهل
العاهات والمرضى المزمن.

١٤- وكذلك تجلّى البُعد التداولي في خطاب
هذا العهد المقدّس في أسلوب المتكلّم الخُلقيّ
في إظهار المودّة والعطفِ واللين للمخاطبِ.
وكذلك في الفعل الكلاميّ الإيجابيّ والسلبيّ. وفي
المجال الوصفيّ التخيليّ في رسم الصور ونقلها
إلى المخاطبِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين،
والصلاةُ والسلامُ على رسولِهِ الكريمِ وآلِهِ
الطيبين الطاهرين المعصومين. والسلامُ عليكم
ورحمةُ الله وبركاته.

روافد البحث

أولاً: الكتب المطبوعة:

- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصريّة، ١٩٥٣ م .

- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م .

- أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، منشورات دار المعرفة، بيروت، لبنان .

- الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب: د. فرحان بدري الحربي،

المؤسسة الجامعية للنسر والتوزيع، بيروت،
الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

- الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام
المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة .

- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي
العربي المعاصر: عبد الغني بارة، مطابع الهيئة
المصرية، ٢٠٠٥م .

- بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح
فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م .

- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية
لنظم المعرفة في الثقافة العربية: محمد عابد
الجابري، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠م .

- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر
الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،
مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م .

- تحليل الخطاب: ج، براون وج، سيرل،
ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي ومنير
التركلي، السعودية، جامعة الملك سعود،
١٩٩٧م .

- تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين،
المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت،
١٩٨٩م .

- التداوليّة: جورج يول، ترجمة: د.قصي
العنّابي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى،
٢٠١٠م .

- التفاعل النّصي - التناسية النظرية والمنهج:
نهلة فيصل الأحمد، مطبعة مؤسسة اليمامة
الصحفية، الرياض، ١٤٢٣هـ .

- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن
محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزيّ السمعانيّ

التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)،
تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن
غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة:
الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد
بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو
جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: الدكتور
عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة:
الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- حفريات المعرفة: ميشال فوكو، ترجمة،
سالم يفوت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية،
١٩٨٧م.

- الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخه
وبنيته الموضوعية: عبد الأمير زاهد، مجلة

المنهاج، العدد (٢٧)، السنة (٧)، ٢٠٠٢ م .
- الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريحية
قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر مقدمة
نظرية ودراسة تطبيقية: عبد الله محمد الغدّامي،
النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية،
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر
الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة،
بيروت، ١٩٧٨ م .

- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق:
محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب
العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة
الأولى، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

- شرح نهج البلاغة: لمحمد عبده، الطبعة
الأولى، إيران - قم، توزيع: مؤسسة العطار

الثقافية، العراق - النجف الأشرف، ١٤٣١ هـ -
٢٠١٠ م .

- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى
كلامها: أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد
على بىضون، دار الكتب العالمية، بيروت، الطبعة
الأولى، ١٩٩٧ م .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو
نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى:
٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار
العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧
هـ - ١٩٨٧ م .

- الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تحقيق:
علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم،
القاهرة، ١٩٥٢ م .

- علم النص: جوليا كرسيفيا، ترجمة: فريد

الزاهي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩١ م .

- عملية القراءة، مقترب ظاهراتي: فولغانغ آيز، ضمن كتاب نقد استجابة القارئ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٩ م .

- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، ١٩٥٢هـ .

- في آفاق الكلام وتكليم النص: عبد الواسع الحميري، دار الزمان للطباعة، دمشق - سوريا، ٢٠٠٩ م .

- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م: ٥/٢.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

- لسان العرب أبن منظور (ت ٧١١هـ)

تحقيق: أمين محمد عبد الوهّاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م .

- المتخيل والتواصل، مفارقات العرب والغرب: محمد نور الدين أفاية، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م .

- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- معجم علوم العربية: محمد التونجي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن احمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدر الإسلامية، ١٩٩٠ م .
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، تركيا الطبعة الثانية، ١٩٨٩ م.
- المقاربة التداولية: فرنسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ابو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية .
- النظرية الأدبية المعاصرة: راما ن سلدن، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ م: ١٧٢ .
- نظرية التلقي: روبرت سي هولب: ترجمة: د. عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي،

جَدَّة، الطَّبَّعة الأولى.

- نظرية التأويل: بول ريكور: ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

- الوظائف التداولية في اللغة العربية: أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م: ٨.

ثانياً: الأطاريح الجامعية والرسائل:

- تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث (أطروحة دكتوراه): دهمون كاهنة، الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٤م.

- نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير): سحر كاظم حمزة، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

- بحث: (التداولية وتحليل الخطاب الأدبي):
راضية خفيف بكري، مجلة الموقف الأدبي،
دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد (٣٩٩)
تموز، ٢٠٠٤ م .

- بحث: (الاتصال اللساني بين البلاغة
والتداولية): سامية بنت يامنة، مجلة دراسات
أدبية، مجلة دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز
البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات
التعليمية، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد الأول،
ماي ٢٠٠٨ م - جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ .

رابعاً: الكتب الأجنبية:

A.J.Greimas etj.courtes: semiotique, Dic-
tionnaire raisonne, des sciences du lan-
.gage, ed. Hachette , paris

C.K. oreccioni: L'imlicite,ed. Armand colin,
. par is 1986

المحتويات

مقدمة المؤسسة	٥
مقدمة	٩
المبحث الأول: الخطاب تعريفٌ ومفهوم ..	١٥
الخطاب في اللغة:	١٦
الخطاب في الاصطلاح:	١٨
أركان الخطاب:	٢٦
التداولية:	٣٥
امتشاج التداولية والبلاغة والخطاب:	٣٨
المبحث الثاني: نماذج من المظاهر التداولية في خطاب الإمام علي (عليه السلام) في عهده لواليه على مصر	
مالك بن الحارث الأشتر (عليه السلام)	٤٣
الخاتمة	٨١
روافد البحث:	٨٧